بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عِوَجاً ، ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد . وصلوات الله وتسليماته على مَن نزَّل الله عليه الكتاب تبياناً لكل شىء وهدىً ورحمة وبُشرَى للمسلمين . وكانت سُنَّته وسيرته : البيان النظرى والتطبيق العلمى لكتاب الله ، ليُبيِّن للناس ما نُزِّل إليهم ولعلهم يتفكرون . وكان خُلُقه القرآن ، كما وصفته ألصق الناس به عائشة رضى الله عنها ، وعن سائر آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتبعوا النور الذى أُنزل معه ، أُولئك هم المفلحون ، وعن كل مَن سار على دربه ، وانضم إلى حزبه إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فلم أزل - ولله الحمد والمنَّة - منذ فجر شبابى ، منذ هيأ لى الله سبحانه أن أرتقى المنبر لأخطب ، أو أمسك بالقلم لأكتب ، أعتبر القرآن الكريم هو مصدرى الأول ، ومعتمدى الأساسى ، أستمد منه الهداية والتسديد ، فى كل محاضراتى وخطبى ، وعامة مؤلفاتى وكتبى . ساعدنى على ذلك حفظى المبكر للقرآن ، وأنا دون العاشرة ، واستحضارى لآياته بيُسر ، كلما احتجت إلى الاستشهاد بها فى مختلف المعانى وشتَّى الموضوعات .

ومع هذا لم يزل فى نفسى - كما هى أُمنية كل عالِم مسلم - أن يكون لى خدمة مباشرة للقرآن العزيز ، بوصفه كتاب الإسلام الأول ، وكتاب

العربية الأكبر ، كما قال الشيخ أمين الخولى رحمه الله ، والوثيقة السماوية الوحيدة التى تحمل كلمات الله الأخيرة لهداية البَشرية ، ولم يصبها تحريف ولا تبديل بأى وجه ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (١) .

وقد كنت نشرت - منذ نحو عشرين عاماً - كتابى « الصبر فى القرآن الكريم » باعتباره حَلْقة فى سلسلة للدراسات القرآنية تتناول التفسير الموضوعى للقرآن .

وكان المفروض أن أتبع هذه الحَلْقة بأخوات لها فى موضوعات قرآنية أُخرى ، كتبت رؤوس أقلامها كما يقولون ، مثل « الشكر فى القرآن » وهو قرين « الصبر » فى القرآن والسُّنَّة . ومثل « الإيمان فى القرآن » ومثل « الدعاء فى القرآن » ، وغيرها من الموضوعات .

بَيْد أن الشواغل الفكرية والعملية الآنية التى تعرض للإنسان باستمرار ، وتفرض عليه أن يكتب فى أشياء يتطلبها الوقت ، ويحددها الموقف - أخَّرتنى عن إنجاز ما كان فى نفسى وهو ما يحدث أبداً مع كثير من المشروعات العلمية والفكرية التى أنوى إخراجها للناس . وهو دليل على محدودية الطاقة البَشرية . وما كل ما يتمنى المرء يدركه .

وقد كان من المسوّدات التى لدىّ من قديم فى الدراسات القرآنية : هذا الموضوع الذى أقدمه اليوم للقارئ الكريم « العقل والعلم فى القرآن الكريم » . وقد شرح الله صدرى لتبييضه وإتمامه على الوجه الذى يراه القُرَّاء اليوم بفصوله الستة ، معتمداً على كتاب الله تعالى فى المقام الأول . وسيجد

---

(١) فصلت : ٤١ ، ٤٢

القارئ المسلم - وغير المسلم أيضاً - مبلغ « العقلانية » ومدى « العلمية » فى هذا القرآن . وكيف يغرس هذين المعنيين الكبيرين فى العقول والقلوب ، وكيف يربِّى الأُمة فى ضوئهما .

وأرجو الله العلى الكبير أن يوفقنى لإصدار المزيد من هذه السلسلة ، خدمة لكتاب ربنا ، وتوسلاً إليه سبحانه أن نكون من أهل القرآن ، الذين هم أهل الله وخاصته ، كما صحَّ فى الحديث (١) ، وأن يكون القرآن شفيعاً لنا يوم القيامة ، فقد صحَّ أنه يشفع لأصحابه (٢) .

كما أدعوه جَلَّ وعلا أن يمدنى بروح من لدنه ، حتى أكمل كتابى الذى كتبت فيه عدة فصول « كيف نتعامل مع كتاب الله » ، وهو كتاب لا بد منه ليتكامل مع كتابى « كيف نتعامل مع السُّنَّة النبوية » ، فالقرآن هو الوحى المتلو ، والسُّنَّة هى الوحى غير المتلو .

أما فى التفسير « التحليلى » أو « الموضعى » كما يسميه شيخنا محمد الغزالى ، فقد اقترح علىَّ الإخوة فى الجزائر الشقيقة - حين أُعرت إليها من دولة قَطَر سنة (١٩٩٠ ، ١٩٩١) - أن أعقد درساً أُسبوعياً فى « التفسير » فى أقدم جوامع العاصمة ، واقترح علىّ بعضهم أن أبدأ بـ « سورة يوسف » واستجبت لذلك ، واستمر الدرس عدة أشهر ، أنهيت فيه معظم السورة ، وإن لم أكملها . وقد سجلت هذه الدروس بالصوت والصورة ، ولا أدرى ما مصيرها ، بعد أن قُطِعَ الطريق بالقوة الغاشمة على الإسلاميين فى الجزائر ، وجرى عليها ما جرى ، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله !

---

(١) ولفظه : « إن لله أهلين من الناس : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » رواه أحمد والنسائى وابن ماجه والحاكم عن أنس ، كما فى صحيح الجامع الصغير وزيادته للألبانى برقم (٢١٦٥) ، طبعة المكتب الإسلامى الثانية .

(٢) ولفظه : « اقرؤوا القرآن ، فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » رواه أحمد ومسلم عن أبى أُمامة . المصدر السابق (١١٦٥) .

وبعد عودتى من الجزائر اقترح علىَّ بعض الإخوة فى قَطَر أن أستمر فى دروس التفسير فى مسجد عمر بن الخطاب ، الذى أخطب فيه الجمعة ، وأن أبدأ بـ « سورة الرعد » . وقد سُجِّلت هذه الدروس ، وقام أحد الإخوة الأفاضل من علماء الأزهر [1] بنشرها والتعليق عليها ، جزاه الله خيراً .

اللَّهُمَّ اجعل القرآن الكريم ربيع قلبى ، ونور صدرى ، وجلاء حزنى ، وذهاب هَمِّى .

﴿ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ، إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [2] .

القاهرة : ربيع الأول سنة ١٤١٦ هـ - أغسطس (آب) سنة ١٩٩٥ م

الفقير إليه تعالى

يوسف القرضاوى

* * *

(١) هو الأخ الفاضل الشيخ محمود عوض حفظه الله ونشرتها « دار البشير » بطنطا .

(٢) التحريم : ٨